أحلى الكلام في يوم الوقوف

أحمد سعيد بزغل

لبيك اللهم لبيك
لبيك لا شريك لك لبيك
إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك
لبيك والامر، إليك لبيك واعتمادنا عليك، لبيك وحجيج بيتك وفدت إليك.

عباد الله هذا يوم مشهود معروف، يوم عظيم موصوف، هذا يوم الوقوف، الملايين تطوف بيت الرب الرؤوف، هذا يوم عظيم عظمة الله وشرفه يوم أجله الله وعرفه يوم التضحية والفداء، يوم التلبية والنداء، حجاج بيت الله على صعيد عرفات قد اخلصوا النيات واجملوا الدعوات وجمعوا الصلوات، أي الظهر والعصر قصرا وجمعا كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. الحج هو أحد أركان الاسلام الخمسة فرضه الله سبحانه على القادر المستطيع مرة واحدة في العمر.

يقول الله سبحانه وتعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) آل عمران ٧٩ ..ويقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة له (ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل: أكل عام يارسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم) رواه مسلم.

والحج واجب على الفور لمن قدر عليه لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله الحرام ولم يحج وهو مستطيع فلا عليه ان يموت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وذلك لقول الله تعالى : "ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا") رواه الترمذي وفي رواية لاحمد: من أراد الحج فليتعجل والحج هو تمام الامر وختام العمل لأن فريضة الحج في الاسلام من أهم الفرائض لانها – أولا تعتمد على الايمان بالله واليوم الآخر ثم هي ثانيا – تربط السابق باللاحق والحاضر بالماضي . وتجمع الناس جميعا على عبادة موحدة كسائر العبادات تصل موكب النبوة –من عهد ابراهيم– الى أن تقوم الساعة ذلك لأن ابراهيم عليه السلام هو الذي رفع قواعد البيت فاتضحت معالمه ثم اذن في الناس– بأمر ربه – ليخبر الناس جميعا من لحظة النداء – والى ان تقوم الساعة – ان الحج فرض عين على كل شخص قادر حيث يقول الله تعالى : (واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات) الحج (٢٦-٧ ٢) ومن لحظة هذا النداء واجتماع البشرية من مختلف الجهات ومن كل فج عميق تلتقي هناك فلا يتفاضلون فيما بينهم بحسب أو نسب أو جنس أو لون يلتقون وصوت نبيهم في آذانهم: أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربي على اعجمي فضل إلا بالتقوى).

لهذا فان البشرية عندما تلتقي في الحج فانها تلتقي على مبدأ الخير العام لأن نيتهم تتجه الى التزود بالعمل الصالح الذي يقربهم الى الله ويحببهم الى الناس لانهم قرأوا قول الله سبحانه وتعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) الكهف (١١٠) وقوله جل جلاله (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما) النساء(١١٤) لهذا فان الحج يدفع الانسان ويقوي عزيمته الى اداء الواجب لله مع البر بالخلق وتهذيب السلوك الانساني وبهذا توضع المجتمعات تحت رعاية الضمير اليقظ من الفرد المسلم الذي يؤمن بصدق أن سعيه في الدنيا من ورائه حساب، وان حسابه في اليوم الآخر من ورائه ثواب أو عقاب وأن يمر بالدنيا ولا يقيم وان هذا التجمع الانساني يوم عرفة من ورائه اجتماع أكبر عندما ينادي على البشرية كلها وهم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء ويكون النداء (لمن الملك اليوم).

فلا يتكلم أحد من هول الموقف وشدته وأهواله لذلك يكون الرد بعد ذلك (لله الواحد القهار) غافر (٦١) وكذلك قوله سبحانه وتعالى (الملك يومئذ لله يحكم بينهم) الحج (٦٥) لهذا جاء في القرآن سورة سميت سورة الحج ومطلع هذه السورة يقول:(يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) – (الحج ١-٢).

إن النداء الذي أذن به ابراهيم للحج ، هو نداء للقلوب لذلك رعاه الزمن وحفظه التاريخ، من هنا كان الحج فريضة تهذب النفس وتعصم السلوك الانساني ومع ذلك الحج عنوان للاخوة الانسانية العامة، وكان هذا الموكب المهيب الذي يحف به البهاء والجلال هو تهيئة للانسانية كي تتدارس شؤونها وتتداول منافعها في حرم آمن وقلب غير آثم، وهذا الموكب ماهو الا شبكة اتصال قوية بين مشارق الارض ومغاربها وشمالها وجنوبها، القرى النائية والاقاليم المتباعدة وهذا الموكب في خواطر كل شخص يسير فيه وفاء للانسانية وفي مشاعره وعواطفه وفاء للمعاني النبيلة والمثل الكريمة.

إن الذين تجردوا من ملابسهم، وتخلوا عن شاراتهم وتجردوا من كل زينة ولبسوا ملابس الاحرام وانضموا الى الموكب الطاهر الذي يسعى نوره بين يدي الجميع يعترفون بالانبياء جميعا، لان الإسلام الذي بلغنا به نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قدم الانبياء الينا على أنهم إخوة متحابون وانهم متعاونون في حمل الحقيقة عبر القرون لأن مهمتهم واحدة ودعوتهم واحدة ففي القرآن الكريم نقرأ «ما يقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك) فصلت (٤٣) وقوله تعالى كذلك: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) الشورى (١٣).

ونسمع من النبي الطاهر «مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأكمله إلا موضع لبنة فأنا تلكم اللبنة وانا خاتم النبيين) رواه الترمذي.

في عرفات يوم الحج الاكبر خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اصحابه في ذلك الجمع المشهود فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال:

أيها الناس اسمعوا قولي فاني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا– يريد موقف عرفات – أيها الناس: ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد فمن كان عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها.

"أيها الناس.. إن ربكم واحد ، وان أباكم واحد كلكم لآدم. وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله اتقاكم، ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى ألا هل بلغت؟ اللهم فأشهد".

هنيئا حجاج بيت الله الحرام المغنم الكبير من العلي الكبير .. لا حرمنا الله وإياكم من تلك الوقفة المهيبة وحج بيته الحرام وزيارة قبر نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولبيك اللهم لبيك

دعاؤنا في يوم عرفة

أحمد عبد ربه علوي ●

بمناسبة هذا اليوم العظيم يوم (الوقوف على جبل عرفات) يوم الرحمة والمغفرة توجهت الى الله عز وجل بهذا الدعاء:

يارب : لا تحرمنا من رحمتك ولا تهلكنا بأيدينا وعلمنا الحق والحقيقة لأن الدنيا طغت على نفوسنا واعمى المال أبصارنا فبعنا ضمائرنا وتهنا في الكثير من التأويلات والترهات وبدع رجال الدين الجدد الذين حشروا الدين في فتاوى لا تمت للدين والاسلام باية صلة وادخلوا الدين والاسلام في نفق مظلم .

يارب : أعنّا على تجاوز المحن والازمات ومواجهة الاعداء والمتربصين والمتطرفين والارهابيين والفاسدين ومستغلي الدين والدنيا وأعنّا على مواجهة النكبات وتجاوز الازمات السياسية والاقتصادية والامنية وخذ بأيدينا لما فيه الخير والصلاح .

يارب : احفظ لنا بلادنا اليمن دائما هامتها عالية، رايتها مرفوعة، كلمتها مسموعة، حدودها آمنة مصونة تحت قيادة زعيمها الرئيس علي عبدالله صالح .

يارب : علمنا الحقيقة وابعد عنا الزيف، علمنا ان الدنيا مهما طالت زائلة وان الآخرة باقية وان رضاك ورحمتك هما ما يجب ان نطلب وعلمنا انه مهما بلغت قوتنا فنحن الضعفاء اليك ومهما بلغ غنانا فنحن الفقراء اليك ومهما بلغ جاهنا وعظمتنا وملكنا فنحن المساكين اليك .

يارب : علمنا ان الخير هو الباقي حتى نعمل الخير وان الكلمة الطيبة هي التي تزرع الحب في النفوس والقلوب حتى يكون كل كلامنا طيباً .. وعلمنا ان نستر عيوب الناس كما سترت عيوبنا وان تعفو وتغفر أخطاءنا وأن نواجه المسيء بالاحسان وعلمنا ان الناس بخير ما تعاونوا حتى نتعاون جميعاً على البر والتقوى فلا يكون بيننا فقير ولا محتاج وذكرنا انك تسمع وترى حتى لا نحسب أنك في غفلة عنا فنراقبك في كل قول وفي كل فعل فلا نقول إلا صدقا ولا نفعل إلا خيرا .

يارب : علمنا ان الدنيا لا تساوي شيئا ، حتى لا نتقاتل عليها وان الآخرة هي الحياة وهي البقاء وهي الخلود حتى نسارع اليها .

يارب : علم واهد أحزابنا القدرة على الحوار بدلا من المهاترات والترويج والتوترات التي لا تخدم المصلحة الوطنية حتى تكون الفترة المتدة من يوم عرفات الحالي الى يوم عرفات القادم ١٤٢٦هـ لا متاعب فيها ولا أزمات ولا توترات بل أمن واستقرار وان يحصل كل واحد منا على حقه بغير وساطة أو عناء أو صعوبات أو مشاكل وان لا يبقى في بلادنا مظلوم ولا مسحوق ولا مسجون حرم من العدالة .. وان تكون تلك الفترة القادمة خير وبركة على بلادنا وعلى اشخاصنا وعلى احبابنا وعلى الناس اجمعين، المختلفون منا يتفقون والمتباعدون يتقاربون والغاضبون يتصالحون .

يارب : افضح كل فاسد وخائن ومخرب وافشل خطط اعداء بلادنا وقوي وحدة جبهتها الداخلية وتصحيح الاعوجاج في كل مرفق وادارة، واجعل كل مسؤول يعتبر قدوة في منصبه بالحق والعدل والمساواة حتى يعايش بصدق مشاكل مواطنيه .. وموظفيه.

يارب امنحنا الصبر لنصبر على شطط وتصرفات البعض منا التي تثير اعصابنا وتولد الضغط في عروقنا كما حدث للاخ رئيس الحكومة في ساحة البرلمان .

يارب طهر القلوب من الطمع والحقد والحسد واملأها بالمحبة والتسامح والايمان وامنحنا لنصبر على الصبر وعلى نقاد صبر الصبر وابعد عن مجتمعنا اليمني ظاهرة المحسوبية والعشائرية والقروية والمجاملات البغيضة .

يارب : خلص بلادنا من المنافقين والملفقين والمزايدين والانتهازيين والمتربصين من ذوي الوجهين واللسانين فهؤلاء هم السوس الذي ينخر في عظام الشعب ويوقف انطلاقه الى الامام والهم مسؤولي وطننا البصيرة وان يروا ان الحرية والديمقراطية وحقوق الانسان هي وحدها طريق الخلاص ..

يارب : اجعلنا كبارا في خلافاتنا نتسامح ولا ننتقم وارفع الغشاوة عن العيون المغمضة وايقظ الضمائر النائمة وطهر القلوب من السواد الذي ملأنا بالظلام واجعلنا نعيش في نهار الحرية والديمقراطية بعيدين عن بعض المحترفين السياسيين الذين يحاولون المتاجرة بقضية الشعب وبهمومه بحسابات حزبية رخيصة .

يارب : اكتب لنا في العام الميلادي الجديد ٢٠٠٥م ان نعيش في أمن كامل نستمتع في ظله بالحياة ونستطيع ان نفكر ونعمل ونبدع ونخطط التخطيط السليم لمستقبلنا ومستقبل اولادنا واحفادنا.

اللهم استجب لنا دعاءنا فإن بابك دائما مفتوح وكرمك لا يرد من وقف ببابك يسألك، اللهم نسألك الامن والامان أولا واخيرا .

● مدير دائرة القيادات الادارية – رئاسة مجلس الوزراء

يوم عرفة منطلق الرحلة إلى الله

فيصل علي

■ يبدأ يوم عرفة في التاسع من ذي الحجة وهو يوم عظيم وعلى الانسان ان يقضي هذا اليوم بالعبادة والصلاة والدعاء والتوسل الى الله عز وجل فهو يوم مناجاة يقضي فيه الحاجات والتوبة فيه مقبوله والدعاء فيه مستجاب وللعامل فيه بطاعة الله أجر كثير.

والتاسع من شهر ذي الحجة هو أفضل يوم في السنة كلها وهذا اليوم المبارك يسن لغير الحاج صومه وهو يوم عظيم القدر عند المسلمين ففي ذلك اليوم يجتمع الحجيج في أرض عرفات وتلهج ألسنتهم بذكر الله والاستغفار والدعاء وقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وبعده يكون يوم العيد للناس وللحجاج الذين تزدحم أعمال الخير في ذلك اليوم لديهم، ففيه أهم أعمال الحجيج حيث يرمون جمرة العقبة ويطوفون بالبيت طواف الافاضة ويحلقون رؤوسهم ويذبحون أضاحيهم ويبقون في منى، اما غير الحجاج فانهم يصلون العيد ويذبحون أضاحيهم ويكبرون ويحمدون .

والوقوف بعرفات هو الواجب الثاني من واجبات الحج، وعرفات جبل معروف، والوقوف به عبادة تجب فيه النية والمراد من الوقوف مطلق الحضور في ذلك المكان من دون فرق بين كونه راكبا أو ماشيا أو جالسا أو واقفا .

سبب التسمية بعرفات :

هناك اختلاف في الآراء حول السبب بتسميته بعرفات منها ان سيدنا ابراهيم صلوات الله عليه خرج يوم عرفة فلما زالت الشمس قال له جبريل عليه السلام يا ابراهيم اعترف بذنبك واعرف مناسكك فسميت عرفات لقول جبريل اعترف فاعترف .

وينبغي على الحاج الكريم ان يعمل خلال الوقوف في عرفة على التوجه الى الله سبحانه وتعالى والاعتراف له بكل ذنوبه ودعائه اليه عز وجل بطلب التوبة والمغفرة، وقيل سميت بذلك لأن آدم وحواء تعارفا بها بعد نزولهما من الجنة وقيل ان الناس يعترفون بذنوبهم في ذلك الموقف وقيل السبب هو لتعارف الحجيج بعضهم مع بعض في هذا الموضع .

يوم عرفة : هو عيد الاعياد العظيمة وإن لم يسم عيدا وهو يوم دعاء الله عباده فيه الى طاعته وعبادته وبسط لهم موائد احسانه وجوده، والشيطان فيه ذليل حقير طريد غضبان أكثر من أي وقت سواه .

روي ان الامام زين العابدين سمع في عرفة سائلا يسأل الناس فقال له : ويلك اتسأل غير الله في هذا اليوم وهو يوم يرجى فيه للاجنة في الارحام ان يعمها فضل الله تعالى فتسعد .

والاعمال في هذا اليوم من أفضل الاعمال وفي الاحاديث الشريفة جاء ان هناك ذنوبا لا يغفرها الا الوقوف في عرفة وان الشمس تغيب بذنوب اصحابها وان الله يقسم فيه من رحمته وهو يوم دعاء واستغفار .

مكانة عرفة في الحج :

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : الحج عرفات الحج عرفات الحج عرفات .

ومن ادرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك الحج وروي أن أناسا من أهل نجد أتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو بعرفة فسألوه فأمر مناديا فنادى الحج عرفة، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج .

ثواب الوقوف بعرفات :

هو الركن الاعظم من أركان الحج وإن لم يدركه الحاج فلا حج له، ويسن صومه لمن لم يكن بعرفة فانه يكفر ذنوب سنتين سنة ماضية وسنة آتية ، وهو اليوم الذي يكثر الله فيه عتق عبيده من النار، وما رؤي الشيطان أدحر ولا أصغر منه سوى هذا اليوم الا ماكان منه يوم بدر، ويظل الحجيج بعرفة حتى الغروب ثم يتوجهون الى مزدلفة .

فضل يوم عرفة :

اذا ذكر يوم عرفة ، فقد ذكر أفضل الايام وابركها فليس ثمة يوم طلعت فيه الشمس او غربت هو خير من يوم عرفة ابدا فقد ورد أن صيامه لغير الحاج يكفر ذنوب سنتين وقد ورد انه ما رؤي ابليس في يوم هو أصغر ولا احقر ولا اغيظ من عشية يوم عرفة .

وقد صح ايضا : ان هذا اليوم من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له .

وصح كذلك : خير الدعاء يوم عرفة وخير ما قلت انا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهوعلى كل شيء قدير، واخرج ابن ماجه في سننه عن عبدالله بن كنانه بن عباس بن مرداس السلمي ان اباه أخبره ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا لامته عشية عرفة بالمغفرة فأجيب : اني قد غفرت لهم ماخلا المظالم، فاني آخذ للمظلوم منه ، قال : أي رب إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجب عشية عرفة، فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب الى ما سأل .. قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو قال تبسم ، فقال أبو بكر وعمر : بأبي أنت وأمي إن هذه الساعة ماكنت تضحك فيها فما الذي أضحكك، أضحك الله سنك ؟ قال : ان عدو الله ابليس لما علم أن الله عز وجل قد استجاب دعائي ، وغفر لأمتي أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور فاضحكني ما رأيت من جزعه).

واخرج ايضا عن ابن المسيب عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما من يوم اكثر من ان يعتق الله عز وجل فيه عبدا من النار من يوم عرفة) وانه ليدنو عز وجل ثم يباهي بهم الملائكة فيقول : ما أراد هؤلاء ؟.

● وقد وردت في فضل عرفة أحاديث منها : عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان الله يباهي بأهل عرفات اهل السماء فيقول لهم : انظروا الى عبادي جاءوني شعثا غبرا رواه احمد وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرطهما .

وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما من يوم اكثر من ان يعتق الله فيه عبيدا من النار من يوم عرفة، وانه ليدنو يتجلى ثم يباهي بهم الملائكة فيقول : ما أراد هؤلاء» رواه مسلم والنسائي وابن ماجة وزاد رزين في جامعه فيه ، اشهدوا ملائكتي اني قد غفرت لهم» .

وعن عبدالعزيز بن قيس العبدي قال : سمعت ابن عباس يقول : كان فلان ردف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل الفتى يلاحظ النساء وينظر اليهن فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ابن اخي ان هذا يوم من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له» رواه احمد باسناد صحيح والطبراني .

يوم عرفة منطلق الرحلة الى الله : يؤكد الباحثون والدعاة المخلصون على ان في ليلة عرفة تهب نسمات الرحمة الالهية على المؤمنين جميعا وفي كل مكان لا سيما على حجاج بيت الله الحرام فهذه الليلة هي مباركة بذاتها .

وبالنسبة الى الحجاج فتعتبر بداية انطلاقة نحو رحلة إلهية وعرفانية عظيمة وهي رحلة الحج الاكبر .

إن الأمر المؤكد هو أن لله نفحات على عباده في يوم عرفة ، ولن يستقبل هذه النفحات إلا ذوو القلوب المتفتحة والعامرة بذكر الله، والامر هذا يشبه الى حد كبير نوعية استفادة واستقبال هذه الارض أو تلك لماء المطر، حيث نرى أرضا صلدة لا يؤثر فيها الماء النازل رغم غزارته بينما نرى أرضا مستعدة لاستقباله فتهتز وتربو وتنمو فيها النباتات .

وعليه فان نفحات الله في يوم عرفة من طبيعتها النزول على القلوب الظمأى التي تشعر شعورا واعيا بحاجتها الى الرحمة الإلهية ، وتحرص كل الحرص على التعرض لها .

حكم وأسرار الوقوف بعرفة :

ومن غير المشكوك فيه كما تؤكد كتب السير أن ابراهيم عليه السلام لما بني البيت بأمر الله تعالى طلب اليه ان يؤذن في الناس بالحج «واذن في الناس بالحج» الآية، فأذن واسمع الحق جل وعلا نداءه من شاء من خلقه فكان على ابراهيم النداء وعلى الله تعالى البلاغ .

ويشبه أحد المصلحين الحج بدعوة رسمية وجهها أحد الملوك الى خدمه وعبيده بواسطة احد خواصه والمقربين اليه ليزوروا بيته وليحظوا منه بالنوال والعطاء، ونظرا لتفاوت استعداد المدعوين واختلاف مساكنهم قربا وبعدا جعل مدة هذه الزيارة شهرين وعشر ليال من شوال وذي القعدة وعشر من ذي الحجة ليتسنى للحضور في هذه المدة لكل المدعوين مهما تناءت ديارهم وبعدت اقطارهم، واخذ المدعوون يتوافدون من كل حدب وصوب يتقاطرون وينسلون، حتى تكامل الوفد ووجب الرفد ، حدد لهم موعدا وخصص لهم مشهدا ألا وهو يوم عرفة ليتجلى لهم فيه ويمنحهم بحسب إخلاصهم في خدمته جوائز احسانه وعطايا افضاله فحسن ان يخرجوا يوم التروية في ملابسهم الرسمية التي دخلوا بها حرم مولاهم، وحمى من دعاهم فينزلوا بمنى استعدادا، حتى اذا طلعت شمس يوم الموعد المحدد ، كانوا على أتم الاستعداد لحضور ذلك المشهد فينزلوا بنمرة أول النهار، وما أن تزول الشمس وتدنو ساعة الحضور، وقد طعموا وشربوا، وتطهروا، ونزلوا المصلى فصلوا فرضيهم معاً جمعاً وقصراً كل ذلك تفرغاً منهم للمناجاة، واستعداداً للملاقاة، واندفعوا متدفقين على ذلك الميدان الرحب الفسيح «الموقف» فوقفوا– وكلهم رجاء– باكين خاشعين، سائلين متضرعين، ولم يزالوا كذلك حتى يتجلى لهم مولاهم ويعطيهم سؤالهم ومناهم، فيكرم المحسنين منهم، ويعفو عن المسيئين، وقد باهى بهم ملأ السماء، وأشهدهم على ما منحهم وأعطى.

ولما تنقضي تلك الساعات التي تزن الدهور بغروب شمس ذلك اليوم الذي فضل العصور، يأذن لهم مولاهم بالانصراف، وقد أرشدهم الى محل النزول مزدلفة ليبيتوا ليلتهم في بهجة وفرحة حتى إذا اصبحوا وقفوا بالمشعر الحرام، ذاكرين لمولاهم رفده وإحسانه، شاكرين له إفضاله وانعامه.

«فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعرالحرام واذكروه كما هداكم».

وقبل أن يسافروا يخفون عائدين الى بيت مولاهم، ومكان تجمعهم ولقياهم وفي طريقهم يشفون صدورهم ويذهبون غيظ قلوبهم من عدوهم فيرمونه بالحصى، عندما غرر على أمهم وأبائهم وأخرجهما من رياض الجنان، وفراديس الخلد والانعام، «فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه» فهم لذلك ومن تلك الساعة في حيرة فكر، ووحشة نفس قد لا تزولان إلا بالرجوع الى الوطن الذي هو حضرة القدس، ومكان الأنس، ويرحم الله ابن القيم إذ يقول:

ولكننا سبي العدو فهل ترى...
نعود الى أوطاننا ونسلم

ولذا رأيتهم لما عاشوا ساعات في ذلك الأنس، تذكروا من حرمهم المكان المقدس، فعرضوا له في طريقهم يلعنونه بالأفعال ويهينونه بالأقوال.

وهناك بمنى وقبل زيارة بيت مولاهم يلقون تفثهم، ويوفون نذورهم، فيذبحون ويحلقون، فرحين مكبرين مهللين، ويحلقون، أو يقصرون القاء للتفث، وإزالة للشعث، ثم يقبلون على البيت زائرين، ولإنعام مولاهم شاكرين، فيطوفون ببيته، ويسبحون بحمده، وبذا يكونون قد أشهدوا على أنهم حضروا الحفل المشهود، ونالوا الرفد الموعود، وهاهم أولاء قد عادوا ليسجلوا أسماءهم في سجل الحضور، وليعلنوا أنهم من أكرم الزور.

ومعلوم أنه ما تم لهم حضور المشهد المفضل الذي شهدوا، ولا تمكنوا من إجابة الدعوة التي أجابوا إلا بعد جهد جهيد، وعناء وتعب شديد، لبعد ديارهم ولخروجهم عما اعتادوا من ملبس ومسكن، ومآكل ومشرب، فما أحوجهم والحال هذه الى أيام راحة واستجمام في مكان هادئ ومنزل طيب مريح وفسيح، حتى إذا استراحوا واستردوا من قواهم ما فقدوا، ودعوا بيت مولاهم وانصرفوا.

وما أكرم مولاهم، وما أعظم حفاوته بهم إذ أعد لهم فجاج مني الفسيحة ورحابها الطيبة الفريحة، وعزمهم لإقامة ثلاثة أيام، ومن تعجل في يومين فلا يلام، فيقضونها في متع كثيرة بين ترويح للروح، وغذاء للبدن، فيأكلون ويشربون ويهللون ويكبرون، حتى إذا قضوا أيامهم وأراحوا أرواحهم وأجسامهم، عادوا الى البيت فودعوا وانصرفوا، والكل يضرب في طريق بلاده، عائداً الى وطنه وموضع ميلاده.

فيا رب ردهم سالمين، وسلام عليهم في العالمين، ونسألك يا الله أن تبلغنا تلك المناسك، وتجعلنا ممن تعتق رقابهم من النار، وأن تؤوينا الى رحمتك، وتجعلنا ممن ترضى عنهم يا الله برحمتك ورضاك يا أرحم الراحمين.

آفاق

عرفات الله..

■ يتجه المسلمون في كل أصقاع الأرض بأبصارهم اليوم إلى عرفات الله إيماناً واحتساباً وخوفاً وطمعاً ورغبة ورهبة، فلكل امرئ ما نوى، فمن كانت نيته إلى الله فقد تعلق بالعروة الوثقى، ومن كانت نيته إلى غير ذلك فإنما الأعمال بالنيات، ولا حاجة للتفصيل.

إذا دعا الحجاج بالصلاح لأمتهم وبالتوفيق لعديدهم وبالاستنارة لفهمهم لدينهم فإن أبواب السماء مفتوحة مهما تعددت اجتهاداتهم ففوق كل ذي علم عليم، ولكن الدعاء لا يغني عن العمل وعن إعمال الفكر والسعي الحثيث إلى دروب الخير والمعرفة وإلا كان الحال كمن يؤدي صلاة الاستسقاء وهو لا يفلح أرضاً ولا يربي شجراً ولا يغيث حيواناً، ولا يطيق ماء مدراراً.

على صعيد عرفات والمشعر الحرام والبيت الحرام خلاصة الأمة ومكوناتها وعقيدتها وآفاقها المستقبلية وما ينبغي أن تكون هذه مناسبة وفرصاً للخلاص الفردي، لأن رمزيتها ومضامينها العظيمة ترتفع بها إلى مشهدية تتخطى الفرد مهما كان شأنه لترتقي إلى الجماعة المصطفة على باب الله في يوم الحشر حيث لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

فضل النقيب

لا نفكر أننا في واقع إسلامي شديد البون ما بين منكر ونكير، وطامح وطالح، وغاد ورائح، وملوح ولائح، وأن البقر قد تشابه علينا، حتى أصبحنا نداس بأقدامها، ولا نحلم بسناماتها، ولكن هذا حال الحضارات ونحن منها، ولن نستطيع كما يعلمنا التاريخ أن نرتقي إلا بسلطان.

لن ترتقي الأمة بجهلتها، وبمن يُلبسون الحق بالباطل ويتخذون من ذواتهم آلهة دون الله، وإنما ترتقي بالأتقياء الذين يرفقون بالناس ويسترشدون بالرحمة الإلهية الخالدة وبالكليات التي تعلم أن الشجرة ليست هي الغابة، وأن الكلمة مسئولة، والعمل يدل عليها.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.. إن الحجيج لا يرمون الشيطان عبثاً، وما أكثر شياطين الإنس والجن الذين ينبغي أن نرميهم في عقولنا وفي نفوسنا وفي ما يوسوسون به في صدورنا ((قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس، من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس)) صدق الله العظيم.

في ((خطبة الوداع)) لرسولنا الأعظم والتي شاء الله أن تكون في الحج، تعظيماً لشعائره، وإبانة لفضائله، وهدياً لحجيجه على مدى الأزمان وتعاقب العصور، كان محمد بن عبد الله مبشراً لا منفراً، وهادياً لا مضلاً، ورفيقاً لا عنيفاً، ومنصفاً لا مجحفاً، ونوراً للبشرية جمعاء، وللمستضعفين على وجه الخصوص، فمن شاء أن ينطقه بغير ما أضاء وأنار فليتبوأ مقعده من النار.

لن يرمي الحجيج أوزارهم على حصباء مكة والمشاعر وإنما في رجمة الله التي تتنزل على من تاب وأناب، وكان بالسر عليماً.

برلمان عربي على طريق الإصلاح

محمد الزبيدي

□ يقال إن آخر اجتماع لجامعة الدول العربية أقر إقامة برلمان عربي رغم تغيب عدد من الدول الأعضاء، ومن المعروف أن بلادنا كانت قد تقدمت بمشروع إصلاح عربي قبل عام أو يزيد، وكان ذلك المشروع متكاملاً لمن يريد الإصلاح حقاً وصدقاً، إذ ينص على إنشاء مجلس أعلى ويضم قادة الدول العربية ومجلس تنفيذي يتألف من رؤساء الحكومات العربية ومجلس وزاري يتألف من وزراء خارجية الدول العربية ومجلس برلماني ومحكمة عدل عربية ومجلس اقتصادي يتألف من وزراء مالية واقتصاد الدول العربية ومجلس أمن يتألف من وزراء الدفاع والداخلية، وهذا هو ما تحتاجه الدول العربية في الفترة الراهنة على الأقل وفي المستقبل، وعندما تصفح كثير من المفكرين المشروع اليمني اعتقدوا أن أحداً لن يتراجع عن تأييده كخطة قابلة للتنفيذ ووافية بالغرض، لكن نحن العرب اتفقنا على ألاّ نتفق واختلفنا فقط من أجل الاختلاف، وعلى حد قولهم «خالف تعرف»، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو : ماذا لو جاء ذلك المشروع من غير اليمن؟ اليمن بلد ما زال في نظر البعض فقيراً، وهو – وإن كان كبيراً من حيث المساحة والسكان – غير مؤثر، وإن كانت أراؤه هي عين الصواب والبرهان، وعلى هذا يأتي من ذلكم المشروع الذي لم ترد به بلادنا المزايدة ولا الوجاهة ولا كسب النفوذ، وإنما أرادت به وجه الله ودوافعها كانت رؤيتها لأحوال الأمة العربية ذات الأصل الواحد والدم الواحد واللغة الواحدة والمصير الواحد وإخلاصها لهذه الأمة وحبها لأن تكون أقرب إلى التضامن والتكاتف والتكامل من غيرها، لأنه لا توجد أمام تلك المعاني المعوقات التي كانت أمام الاتحاد الأوروبي، فذابت أمام العزائم السياسية ورؤية القواسم المشتركة والنظرة المستقبلية، وعلى كُلٍّ ها هي جامعة الدول العربية توافق على إنشاء برلمان عربي، وهو ما يعني أن الإصلاح سيكون بالتقسيط المريح وبدون اعتبار لما تمر به الأمة العربية من ظروف بالغة الدقة والخطورة، وذلك على الرغم من أن الأخ عمرو موسى، الأمين العام لجامعة الدول العربية، قد طمأن الصحفيين بأن عجلة الإصلاح بدأت في الدوران، إلاّ أنه لم يحدد جهة هذا الدوران ولا السبيل الذي تتحرك عليه في الثانية، ولقد كان يجب على الأمة العربية أن تأخذ بالتجربة الأوروبية التي بدأت بالسوق المشتركة إدراكاً من مفكريها على الأقل بأن الاقتصاد هو القاسم المشترك الأعظم، وأن الدول والشعوب تلتقي عند هذا القاسم المشترك، وأن بقية الأهداف تتحقق بعده أتوماتيكياً، علماً أن الدول التي انضمت إلى الاتحاد الأوروبي ذات لغات متعددة وثقافات متنوعة وتوجهات مختلفة، ولهذا بدأت بالهدف الواضح الاشتراك وأقامت السوق الأوروبية المشتركة، فسارت في طريق النجاح الذي شجعها كدول مؤسسة إلى السعي لتحقيق الأهداف التالية وشجع الدول الأخرى على الانضمام إليها حتى وصل الاتحاد الأوروبي إلى تنازل الدول عن العملة الخاصة بها ودمجها تحت عملة موحدة، وانطوى الاتحاد على دول أوروبا الغربية والشرقية، فهل كان بوسعنا كدول عربية أعضاء في جامعة الدول العربية أن نترجم السوق العربية المشتركة ونخرجها من قوالبها الشكلية إلى مواقعها العملية، وهذه هي الخطوة المثلى والهدف الأساسي والأسمى، وذلك باعتبار أن التجمعات الإقليمية والدولية إنما تتجمع وتتكتل بالاقتصاد ومن أجل الاقتصاد، والاقتصاد اليوم هو القوة والأمة العربية التي يبلغ تعدادها حوالي (٣٠٠) مليون نسمة تمثل كتلة كبيرة من الكتل الاقتصادية، وذلك من حيث أن لها إمكانيات لو تجمعت وتكاملت لتغيرت موازينها، وتلك هي البداية لرحلة إيجابية وناجحة، ولا عيب في أن نأخذ بالتجربة الأوروبية ما دامت قد نجحت، وإنما العيب، كل العيب، أن نخدع أنفسنا بالشكليات ونعتقد أننا نجحنا ومن المعتقد أن الموافقة على إنشاء برلمان عربي إنما يدلل على الاعتراف بضرورة الإصلاح، ونحن أحق بأن نصلح أنفسنا قبل أن يزعجنا تنديد أو تهديد الغير بإصلاحنا، وذلك ليس إلاّ من قبيل القول بأنها كلمة حق يراد بها باطل، والخلاصة أن مشروع بلادنا كان أحق بأن يدرس ويوضع على موقعه العملي، لأنه كان مشروعا